اللسانيّات العربيّة

Allisaniyat Al Arabiyah

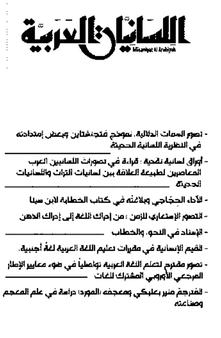
مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك
عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية

العدد -1 يناير 2015م الموافق - ربيع الأول 1436هـ

اللسانيات العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الأول - ربيع الأول 1436هـ - يناير 2015 م



الإسهامات

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير

ص.ب2988 الرياض18452

المملكة العربية السعودية

هاتف 47215698 - فاكس4752369

http://www.kaica.org.sa

في هذا العدد

للاشتراكات السنوية

مراسلة بريد المجلة

arabiclisa@kaica.org.sa

أوراق لسانية نقدية:
قراءة في تصــورات اللسانيين العرب المعاصرين
لطبيعة العلاقة بين لسانيات التراث واللسانيات الحديثة

د. عبدالوهاب صديقي*

الملخص:

نعـرض في هــذه الأوراق تصورات الخطاب اللســاني العربــي المعاصرلطبيعــة العلاقة بين الدراســات اللســانية الحديثةواللغويــات العربية القديمــة؛ بمعنى آخر كيف تمثل اللســاني العربيالمعرفــة اللســانية الحديثــة التي تأسســت مع أب اللســانيات البنيويــة فريدنان دي سوســير(1857) (Ferdinand de Saussure-1913)، منــذ مؤلفــه «محاضرات في اللســانيات العامــة»Cours de linguistique générale،الــذي دعــا فيه إلى دراســة اللغة الطبيعية في ذاتها ولحد ذاتها،متجاوزا بذلك مقولات اللسانيات التاريخية قبله.

لقد أســس دي سوســير لدرس أبســتمولوجي لســاني حديث يتجــاوز اللســانيات التاريخية، وذلــك بتحديد عمل اللســاني في داخليات اللغة كبنية من الرموز والأصــوات والدوال (الدليل اللغــوي)، دون الاهتمــام بخارجيات اللغة، كالســياق الاجتماعــي والتاريخي، وذلــك بالدعوة إلى دراســةاللغة الطبيعية في ذاتها ولحد ذاتها، ليؤســس لدرس لســاني جديديتولى تلامذته في حلقــة «بــراغ» ومدرســة «جنيــف» تطويره،ليفضــي إلى بــروز مــدارس لســانية كلها من صلــب اللســانياتالبنيوية،كالتوزيعية مــع هاريــس(Zellig Harris)، والجلوســيماتيكية مع هيالمســليف(Hjelmslev)،والوظيفية ابتداء ببلومفيلــد (Leonard Bloomfield)، وانتهاء بسيمون ديك (SimonDick)،والتوليدية مع نعوم تشومسكي(Noam Chomsky).

لقد فتحت البنيوية اللسانية مع اللساني السويسري سوسير آفاقا جديدة على حقول المعرفة الإنسانية،لامست النقد والآداب والأنتربولوجيا، وعلم النفس المعرفي، وعلم الاجتماع اللغوي، وعلــم اللغة التطبيقي، وديدكتيــكا أو تعليمية اللغات، وغيرها مــن الحقول المعرفية التي استثمرت الكثير من مفاهيم البنيوية.

ولــم يكن خطاب المعرفة العربيــة محيدا عن هذه الثورة المعرفية التــي همت النقد والمناهج الأدبية واللسانيات، فقد تمثلت الأنتليجنسيا العربية هذه الموجة الجديدة،واختلف التمثل باختلاف البلدان العربية، وطبيعة احتكاكها مع الثقافات الغربية الأنجلوساكسونية أو الفرانكوفونية.

* أستاذ باحث في الحجاج واللسانيات.

أمــا في حقــل الثقافــة العربية، فقــد حاولت بعــض الكتابات اللســانية تقريباللســانيات للقــارئ العربي،مثلما نجــد في مؤلفات علي عبدالواحد وافي ومحمود الســعران، التي ســميت باللســانيات التمهيدية. غير أن اللســانيات في الثقافة العربية ستشهد طفرة مهمةمع بعض الكتابات العربية التي تبنت مشــاريع لســانية شــمولية، محاولة تطبيقها على اللغة العربية وظواهرها،مما طرح إشكال العلاقة بين لسانيات التراث واللسانيات الحديثة؛فاختلفت الأوراق اللسانية النقدية،تبعا للنظرية اللسانية المتبناة،وللخلفيات المعرفية للساني العربي نفسه.

توطئة منهجية:

نــروم من خــلال هــذه الأوراق التي وصفناها باللســانية النقدية،مناقشــة قضايا إشــكالية في الثقافة العربية الحديثة شــغلت الخطاب اللســاني العربي الحديث منذ اللسانيات النهضوية،وهي علاقة لسانيات التراث باللسانيات الحديثة، فكثيرا ما نصادف هذه الإشكالات في الثقافة العربية.

تمثل إشكالية علاقة لسانيات التراث (بمفهوم مصطفى غلفان) باللسانيات الحديثةتجسيدا لإشــكالات عميقة هي علاقة التراث بالحداثة؛ وقد عالجها كتاب الفكر العربي، من أمثال طه عبدالرحمــن، ومحمد عابد الجابري، وعبد الله العروي، ونصر حامد أبوزيد، وعلي حرب وغيرهم، وهي أسئلة طرحها الخطاب النهضوي، حينما أحس المثقف العربي بصدمة الحداثة الغربية.

وتأسيســا على ما سماه مصطفى غلفان بانعكاس الفكر العربي على الفكر اللغوي، فقد أصبح الفكر اللغوي يتخبط في نفس أسئلة وإشكالات الفكر العربي المتمثلة أساسا في البحث عن الهوية والرغبة الملحة في تجاوز التخلف الفكري والصناعي والثقافي،وكان من مفاتيح الرقي والتطور الاهتمام باللغة العربية،لما تشــكله في وجدان الإنســان العربي كحاملة للقيم والثقافة،ومقوم من مقومات الحضارة العربية،ومنه لا بد من إحيائها وبعثها من جديد لتؤدي دورها في التغيير الحضاري،ولا يكون ذلك ممكنا إلا بتحريرها من قيود الانحطاط اللغوي،بدراســتها لســانيا، وفي مستويات متعددة:تركيبية وصرفية ومعجمية ودلالية وتداولية.

إن الهــدف مــن هذه الأوراق هــو إثراء النقــاش، وإعادة قــراءة التراث «اللســاني العربي» قــراءة وظيفية بحيث يؤدي دوره في الحاضر،وفي جميع الحقول المعرفية،وان كانت الأوراق ســتركز على حقل اللسانيات،وكيف عالج اللسانيون المحدثون إشكالية علاقة لسانيات التراث باللسانيات الحديثة. وستركز الأوراق أيضا على مشروعين لسانيين عالجا علاقة لسانيات التراث باللســانيات الحديثــة ولكن من منظورات مختلفة؛ نعني مشــروع أحمــد المتوكل الوظيفي، ومشــروع عبدالقادر الفاســي الفهري التوليدي، ولكن هذا لا يمنع توارد أوراق لســانية عربية أخــرى؛وإذا كان الهدف تحليلياً بالأســاس لأفكار وتصورات اللســانيين العرب المحدثين،وإبراز مكامــن الاختــلاف والائتــلاف في تلك التصــورات، إلا أن الرهــان الأبعد هو التأســيس لرؤية أبستمولوجية لقضايا الخطاب اللساني العربي الحديث.

وللباحثيــن حافظ اســماعيلي علويوامحمد الملاخ محاولات جادة في هذا المجال لاسـيما في كتابهما الموسـوم ب»قضايا أبسـتمولوجية في اللسـانيات»، وفيه حـددا معالم هذا الخطاب الأبسـتمولوجي الذي يتسـاءل عـن منطـق اللسانيات،وأسسـها المعرفيـة والميتودولوجية (المنهجيـة). ويتضمـن الكتاب أفكارا هامة بصدد الإشـكالية قيـد الدرس،وأعني بها «علاقة لسـانيات التـراث باللسـانيات الحديثة».ومما دعا إليـه الكتاب المذكور بيـن ثناياه، أنه لابد من معالجة عقلانية، بحيث»لا بد من اسـتحداث أدوات واصفة ومفسـرة للغة العربية تحتكم إلى مـا راكمته اللسـانيات من نماذج وأنحـاء ونظريات،فالفصل أو الوصل بيـن النحو العربي واللسـانيات،دون الاسـتناد إلى إطار معرفي واضح يسـتبين الاختلاف الاسـتدلالي بين الأنحاء القديمة والحديثة،لم يعد مستسـاغا، فكثير من المفاهيم لا تسـتعمل بالدلالة نفسـها، مثل مفاهيم النحو والعامل والربط، ويتعذر أحيانا إقامة مقايسة بالمعنى الأبستمولوجي للكلمة بين آليات النحاة ونظيراتها لدى اللسانيين، وإن كانت المقايسة واردة في بعض المستويات،لكن يستعصي أحيانا بلوغها في غياب إطار استدلالي واضح تتضح بموجبه المقتضيات المفهومية لكثير من الآليات التحليلية التي نسـتعملها دون الانتباه إلى اختلاف مضامينها».

يستفاد من هذا النص العناصر الآتية:

- العنصر الأول:دراسـة علاقة لسـانيات التراث باللسـانيات الحديثة فصلا أو وصلا تستدعي إطارا استدلاليا؛
- العنصـر الثانـي: إمكانية اختـلاف مضامين آليـات ومفاهيم النحاة،إذا قيسـت بمفاهيم اللسانيات؛
- العنصر الثالث: تتطلب المقايسـة بين النحو العربي واللسـانيات إطارا اسـتدلاليا تتحدد بموجبه المفاهيم في إطار كل نحو.

نصـادف في حقـل الفكر كما في حقل اللسـانيات أسـئلة عصر النهضة،العصـر الذي حاول فيه الإنسـان العربي الاسـتيقاظ من سـباته، وهو يحس بالبون الشاسـع بين الغرب الفكري والصناعي، وبين الشـرق المتخلف الذي سيطر عليه فكر الانحطاط، والخرافة والسحر، طارحا سؤال شكيب أرسلانالعريض والكبير: لماذا تقدم الغرب وتأخر الشرق؟

تأخـر الشـرق لم يكن فكريـا فقط، بل لامس التخلـف اللغة التي هي وعـاء للفكر وحمالة للثقافة،فهي قبل عصر النهضة لغة متصنّعة، تهتم بقوالب الزخرفة،وبالكليشيهات الكلامية في عصـر الانحطـاط، مما مهد إلى عصر البعث والإحياءفي الشـعر، مع الشـاعر محمود سـامي البارودي،وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وغيرهم ممن أعادوا للقصيدة العربية مجدها اللغوي ورونقها البلاغي صورة ومضمونا، من خلال نصوص شـعرية جاهلية وعباسـية شـكلت قاعدة للقصيدة الإحيائية.وبالتالي فالتراث اللغوي والنحوي يشكل الأساس لأنه لا انفكاك عنه.

ومعلـوم أن اللغة مـن صميم اشـتغال اللسـانيات الحديثة،فاللسـانياتحقل معرفي يعنى بالدراسـة العلميـة للغة الطبيعية، بوصفها نسـقاً مـن الرموز والعلامات،قابلـة للتحويلات، وتؤدي وظيفة أساسية هي التواصل بين المتخاطبين.

وفي حقـل اللسـانيات،كان هـدف تطوير الدرس اللسـاني العربي سـببا لإفـراز الكثير من الإشـكالات تلمس في جوهرها علاقة اللسـانيات الحديثة بلسـانيات التراث؛أو بالأحرى كيف يمكـن قـراءة الفكر اللغـوي والنحـوي العربي؟وهل يمكن اسـتثماره لمعالجـة قضايا اللغة العربيـة؟وإذا كانت القراءة ممكنة،فما أسسـها المنهجية؟تلك بعض الأسـئلة التي أفرزت لنا مواقف متباينة تجاه التراث اللساني العربي،وتجاه اللسانيات الغربية الحديثة، وهي كالآتي:

- مواقف تشبثت بلسانيات التراث جملة وتفصيلا؛
- مواقف تبنت النظريات اللسانية الحديثة جملة وتفصيلا؛
- مواقف توفيقية تحاول إذابة الفوارق بين لسانيات التراث واللسانيات الحديثة.

نجـد من الكتابات اللسـانية العربية المتشـبثة بالتراث جملة وتفصيـلا عبده الراجحي في مجمل كتاباته، ونخص بالذكر منها «فقه اللغة في الكتب العربية»، وعبد السلام المسدي في كتابه «التفكير اللساني في الحضارة العربية».

ومـن الكتابات التي تبنت النظريات اللسـانية الحديثة نجد مشـروعيْ عبدالقادر الفاسـي الفهري في اللسانيات التوليدية، الذييؤمن بأن اللساني لا يقول كلاما مكررا،فالعوالم متعددة، والكلام في اللسانيات العربية -التي وصف خطابها بـــ»الخطاب الهزيل» - مازال مفتوحا.

وثمة كتابات لسـانية جديدة تبنت النظريات اللسـانية الحديثة،مع استثمار للفكر اللغوي العربـي القديـم لمعالجـة قضايا اللغـة العربية،كما نتلمس ذلك في مشـروع أحمـد المتوكل الوظيفـي، علاوة على كتابات أخرى للسـانيين معاصرين،من بينهم: تمام حسـان، وميشـال زكريا، ومحمـد الأوراغي، وعبد العزيز العماري،وعبد الرحمـن بودرع،ومصطفى غلفان،وحافظ اسماعيلي علوي...؛

١. أوراق لسانية نقدية معاصرة:

١.١ عبده الراجحي وعلاقة لسـانيات التراث باللسـانيات الحديثة؛قراءة لسـانيات التراث في أصولها

بالرغـم من أن عبده الراجحي من المؤمنين بأن علاقة لسـانيات التراثباللسـانيات الحديثة يجب أن تكون علاقة توفيقية استمرارية(هذا ما يبدو على الأقل من خلال عنوان كتابه»النحو العربي والدرس اللسـاني الحديـث: بحث في المنهج «)،إلا أنه لم يجسـد هذا الطرح التوفيقي في مقالاتـه التيتحمل عناويـن توحي بهذا المنهج التوفيقي مثل:النحو العربي واللسـانيات المعاصرة،منشـورات كليـة الرباط - البحث اللسـاني والسـيميائي (1981). فالمتصفح لهذه الدراسـات يجد أن الراجحيظل متشـبثا بالتراث النحوي العربي القديم، مقتنعا بأنّ النحو نضج حتى احترق!وهو ما تجسده بالحقيقة عناوين كتبه الأخرى،ومنها مثلا:فقه اللغة العربية في الكتب العربية(1979)، وكتاب المدارس النحوية (1980).

وما يبرر تشبث الراجحي(1981) بلسانيات التراث في تصوره أن البحوث العربية يهددها:

- خطر الجمود،
- خطر المسخ؛

ويتجلى خطر «الجمود» حسب الكاتب في الاكتفاء بما جاءت به كتب النحاة والبلاغيين العرب لدراسة اللغة العربية، وأن الغريب اللساني «خطر على لغاتنا وقرآننا وإسلامنا «.

أما خطر «المسخ» فيتجلى في القول بأن كل جديد اللساني هو الصالح للغتنا،وأنه يجب أن نتجاوز كل ما هو قديم،فهذا الطرح يرى فيه الراجحينوعا من الانسلاخ عن الهوية والأصالة العربية.

والنحو في تصور الراجحي هو الذي نشأ في الفترة الحيوية النشيطة التي عرفتها العلوم اللغوية العربية والتي جسدتها مؤلفات مثل كتاب سيبويه (ت180 هـ)، وإن كان الراجحي يشترط لقراءة التراث اللغوي العربيقراءته من الداخل بأدواته «مما سيساعد في بناء نظرية كاملة في البحث العلمي وفهم أسسه وخلفياته الأنطولوجية والأبستمولوجية التي كانت وراء وضعه».

غني عن البيان أن الراجحي وإن كان مؤمنا بأهمية الدرس اللساني الحديث، إلا أنه ظل متشبثا بالتراث النحوي محذرا من أن يكون «منهجنا هو أن نجلس وننتظر ما يأتي به الغرب ونحاول أن نطابق ما عند الغرب بشيء من عندنا يعني كأن العظمة العربية التي نفخر بماضيها هي أن ننتظر تشومسكي «.

بعد هذه النصوص،وأخذا بمنطوقها، فإن الراجحي يعتقد أن التراث النحوي العربي القديميحوي الكثير من الآراء الصالحة لدراسة اللغة العربية الحالية،وبالتالي يجب أن «لا يخدعنا بريق من هنا أو من هناك « ، وكأن البحث اللساني الجديد مجرد وهج خدّاع،علاوة على أننا نتلمس إشارات للأبحاث اللسانية الغربية في مؤلفات الراجحي بضمير الغائب، نحو: ونجد «عندهم»، و»يسميه بعضهم»، بالإضافة إلى مجموعة من مؤاخذاته على الدرس اللساني الحديث.

مما سبق،نخلص إلى أن الراجحي يشترط لإيجاد وصل بين اللسانيات الحديثة ولسانيات التراث مايلي:

- إعادة قراءة التراث النحوي العربي القديم قراءة صحيحة تحافظ على أصالته؛
- قراءة النحو العربي القديم بالرجوع لمصادره،مثل:كتاب سيبويه، والخصائص لابن جني،ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام؛
- فهم النحو العربي القديم واستيعاب لخلفياته المعرفية والأنطولوجية والأبستمولوجية؛
- الحذر من الشائعات والأحكام المغلوطة والجاهزة حول النحو العربي القديم.

وبذلك يكون طرح الراجحي غير منسجم مع تصوره اللساني الوصفي الرافض للتراث اللغوي، لا سيما ما يتعلق بنظرية العامل والعلل والقواعد المعيارية، كما نجد عند عبدالرحمن أيوب، وتمام حسان.

ختاما،ورغم كون الراجحي يقول بأن «الاقتصار على النحو التقليدي المحض غير صحيح،

كما أن الاقتصار على الدرس اللساني الحديث الخالص غير صحيح كذلك « ، إلا أن مؤلفاته ظلت مقتصرة على الدرس التقليدي المحض، وهو يعيد ما قاله القدماء بأسلوب حديث ودونه في أحيان كثيرة.

يعتبر الراجحي من المتشبثين بلسانيات التراث،عضاضا عليها بالنواجذ،لأنه يرى في مؤلفاتها القاعدة الأساس لكل دراسة للغة العربية. مما حدا ببعض الباحثينأن يسموا عمله هذا بنوع من «السلفية الجديدة «.

يبدو لنا أن عبده الراجحي،وإن دافع في مؤلفاتهعن أهمية اللسانيات الحديثة في وصف ظواهر اللغات الطبيعية،صوتا وتركيبا ودلالة ومعجما، إلا أننا لا نجد للسانيات الحديثة آثارا في تلك المؤلفات، مما جعلنا - ارتباطا بموضوع الدراسة -نسمها بأنها تندرج ضمن المواقف المتشبثة بالتراث اللغوي العربي جملة وتفصيلا، على اعتبار أنه كان من المتوجسين من الدرس اللسانيالخداع والخب،لأنه ليس من العظمة العربية التي نفخر بماضيها،انتظار لما سيأتي به تشومسكي.

2.1 عبدالسلام المسدي:لسانيات التراث والتفكير اللساني في الحضارة العربية

يعتبر عبدالسلام المسدي من القائلين باستمرارية علاقة اللسانيات القديمة باللسانيات الحديثة،فهو يعترف بأهمية التراث اللغوي العربي القديم. ويتأكد من عنوان كتابه «التفكير اللساني في الحضارة العربية»، أن المسدي يقر بأن التفكير اللساني ليس جديدا بل هو قديم قدم الحضارات، لاسيما العربية التي»فكر أعلامها في اللغة العربية فاستنبطوا منظومتها الكلية وحددوا فروع دراستها بتصنيف لعلوم اللغة العربية، وتبويب لمحاور كل منها، فكان ذلك تراثهم اللغوي في النحو والصرف والأصوات والبلاغة والعروض».

وبناء على ذلك فإشكال التراث والحداثة يفرض حسب المسدي إعادة قراءة التراث قراءة تجديدية تجعل منه «تأسيسا للمستقبل على أصول الماضي لما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب».

وبهذا يكون مشروع المسدي دعوة إلى قراءة التراث العربيقراءة لا اجترارية وتكرارية لأفكار القدماء بل قراءة استكشافية تمكن من»البحث في خبايا التراث اللغوي بغية إدراك أسرار العلم اللساني الحديث من جهة، وتقيم التفكير التاريخي في الظاهرة اللغوية بمنظور حديث».

إن المسدي بهذا المعنى يقر مبدئيا بالعلاقة التواصلية بين اللغويات العربيةواللسانيات الحديثة، وبالتالي يستند مشروعه إلى فحص التراث اللغوي القديم بغية الوصول إلى ثماره الخصيبة، بغاية «إبراز نصيب الحضارة العربية من إثراء الفكر اللساني عبر الحضارات».

إن علاقة لسانيات التراث باللسانيات الحديثة بحسب المسدي،إذن هي علاقة اتصالية واستمرارية.

إن التفكير اللسانيلم يكن مرتبطا بالعصر الحديث،ولا مرتبطا بحضارة دون أخرى، بل إن التفكير اللساني وليد الفكر الإنساني وجزء منه،والفكر اللغوي العربي جزء لايتجزأ من هذا

الفكر.ثم إن القول بالعلاقة الانفصالية بين التراث اللغوي القديم واللسانيات الحديثة تنكُّر لأهمية الأعمال اللغوية العربية القديمة والمهمة،لما تتسم به من كفاية في وصف ظواهر اللغة العربية.

وبناء على هذا التصور انساق الكثير من الباحثين إلى عقد مقارنات بين رواد لسانيات التراث كسيبويه (ت180هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ). وقد حظي سيبويه مثلا بحظ وافر في مقارنة مفاهيمه النحوية،بمفاهيم رواد الدرس اللساني الحديث، كفريدنان دي سوسيررائد اللسانيات البنيوية، ونعوم تشومسكيرائد اللسانيات التوليدية، ليس لإثبات تقارب وجهات النظر فقط، بل إثبات تفوُّق سيبويه، وتأكيد جدارة السابق،وأن اللاحق لم يأت بجديد؛ولذلك عُدّ سيبويه بنيويا، وعُدّ وصفيا، وعُدّ توليديا، وعُدّ تداوليا.يقول أحد الباحثين عن سيبويه مقارنا إياه بنعوم تشومسكي: »إن اعتماد سيبويه في تصنيفه الكلام على أسس نحوية تركيبية، كما هو الحال عند تشومسكي وأتباعه، أمر لا يخفى على كل ذي نظر وبصر بآراء سيبويه وأقواله،حيث إن الكلام المستقيم في نظره هو الكلام المركب أو المبنين وفق الأصول اللغوية، والكلام المحال هو الذي ينحرف عن الأصول من حيث إن تركيبه أو بناءه لا يراعي القواعد التركيبيةالنحوية».

3.1 عبدالقادر الفاسي الفهري،وعلاقة لسانيات التراث باللسانيات الحديثة: لسانيات التراث مساهمة في تاريخ الفكر

سنستهل هذه الوقفة بقول الباحث اللساني عبدالقادر الفاسي الفهري: »اللساني لا يقول كلاما معادا ومكررا، حتى لوحسب بعضهم أن كل القول في اللغة قد توقف،وكل شيء موجود عند السلف ممن واراهم التراب. العلم في المقابر واللغة أيضا لا توجد إلا هناك، وغيرها فسد فلم تبق حاجة إلا للشراح وأصحاب الحواشي.نحن نجهل والموتى يعلمون!إنه لعالم مظلم!ولحسن الحظ أن العوالم تتعدد».

إن مشروع الفاسي الفهري اللساني التوليدي يروم تطوير النظر في كثير من قضايا اللغة العربيةالتركيبية والدلالية والمعجمية،لهذا حرص الفاسي الفهري على تطبيق النظرية اللسانية التوليدية على ظواهر اللغة العربية، بمختلف نماذجها (نموذج 65،النظرية المعيار،نظرية المعيار الموسعة،نظرية الرابط العاملي،النموذج الأدنوي)، بغية تطوير تناول ظواهر اللغة العربية. فمشروع الفاسي الفهري بهذا المعنى يمثل اللسانيات التوليدية في العالم العربي بامتياز، اللسانيات التي أرسى أسسها اللساني نعوم تشومسكيمنذ مؤلفه «البنى التركيبية» (1957).

وغني عن البيانأن عبدالقادر الفاسي الفهري، بصدد علاقة لسانيات التراث باللسانيات الحديثة، يؤمن بأن اللساني لا يقول «كلاما مكررا ومعادا»،بالتالي فلا ضرورة منهجية تفرض توظيف التراث اللغوي والنحوي القديم لوصف ظواهر اللغة العربية،على اعتبار أن الظروف التاريخية والجغرافية التي نشأت فيها اللغة العربية التي قعّد سيبويه (ت180هـ) قواعدها

في «الكتــاب»، هــي غير الظروف التي نشــأت فيها اللغة العربية الحاليــة، لذا فقراءة التراث اللغوي النحوي القديم يجب أن تكون «مساهمة في تاريخ الفكر» لا غير.

إن النظرية اللســانية التوليدية التي يتصورها الفاســي الفهري (1985) هي نظرية عقلية مجردة ترمي إلى وصف نســق اللغة العربية كنســق خاضع لتحويلات؛ يقول الفاســي الفهري: «النظريــة اللسانية،كسـائر النظريات،هي بنـاء عقلي يتوق إلى ربط أكبر عـدد من الظواهر الملاحظة بقوانين خاصة تكون مجموعة متسقة يحكمها مبدأ عام هو مبدأ التفسير».

إن مشــروع الفاســي الفهــري التوليــدي كان مــن رهاناتــه تطويــر تنــاول ظواهــر اللغة العربية،تركيبــا ودلالــة ومعجما،كمثيلاتهــا العالمية من اللغات الحية، ومــن المؤكد أن هذا المشروع يستند إلى النموذج الكلي القائم على التفسير والصورنة والنمذجة:

- التجريد؛
- الطبيعة الرياضية؛
- المرونة الأبستمولوجية ؛

وهــو التصــور الــذي وســم بــه نعــوم تشومســكينظريته التوليديةفيتفسيرأنســاق اللغات،والتحويــلات التــي تحكمها،محــاولا ضبطهالفهــم الظاهرة اللغوية،والدماغ البشــري بشكل عام.

وأما الإشــكالية التي نحن بصددها،فقد اعتبر الفاســي الفهري أن الكتابة اللسانية العربية تعانــي أزمــة منهج،لأنه لا يمكن وصــف اللغة العربيــة الحالية بمفاهيــم اللغويين والنحاة القدماء، ومن تجليات هذه الأزمة ما يلي:

- إشكال متعلق بالمادة اللغوية متن الدراسة اللسانية، فجل اللسانيين يكتفون بما جاء به القدماء من أمثلة ومعطيات؛
- إشــكال المناهــج المعتمدة في دراســة الظواهر اللغوية،فغالبية اللســانيين بقوا ســجناء المناهج القديمة معتقدين أن التراث النحوي قادر على حل الإشكالات التي تطرحها ظواهر اللغة العربية؛
- إشــكال «التجريبوية الســاذجة» لاعتقــاد بعض الباحثيــن في اللغة العربيــة أن المناهج الحديثة وضعت لدراسة اللغات الغربية وكفى!
- إشــكال التصور الخاطئ للغة العربية،بكونها تتميــز بخصائص لا توجد في اللغات الأخرى أو أنها مقدســة، وهي أمور لا يخوض فيها اللســاني؛فاللغات الطبيعة أنســقة من الرموز والعلامات،خاضعة لتحويلات؛
- إشكال ادعاء العلمية، وهنا ينتقد الفاسي الأبحاث اللسانية الوصفية العربية،لأنها تفتقد للعلمية؛
- إشــكال التصور الخاطئ للتراث بحيث يعتقد بعض الباحثين أنه لا بد من توظيف التراث النحوي البلاغي لدراسة اللغة العربية الحالية التي تطورت في ظروف مكانية وزمانيةغير الظروف التي تطورت فيها اللغة العربية التي وصفها سيبويه في كتابه.

إن مواجهة أو مقارنة من هذا النوع بين التراث النحوي القديم واللسانيات الحديثةنوع من اللاتاريخيةأو anachronisme.

وبهذا المعنى يمكن اعتبار لسانيات التراث بحسب الفاسي الفهري مساهمة في تاريخ الفكر لا غيـر، بـل أكثـر من هذا نجد الفاسـي الفهري يقر بـأن المادة المعجميــة «تختلف من عصر إلى عصـر ومـن حقل إلى حقل، ومن مجموعة لسـانية إلى أخرى، ولكـن الأهم أنها تتطور في طبيعتهـا وفي حجمهـا بتطور النماذج التحليليـة والصورية التي تـروم وصفها، وعليه فإن المادة ليست ثابتة قارة «.

ويدافع الفاسي الفهري عن هذا الرأي نفسه في دراسته «المعجمة والتوسيط» (1997)حيث دعا إلى ضرورة حوسبة معجم جديد للغة العربية، وفي صياغته للتصورات المعجمية، ودراسته لإشكال حوسبة معجم اللغة العربية.

خلاصة القول: ينبني تصور الفاسـي الفهري لعلاقة لسانيات التراثباللسانيات الحديثة على أنها علاقة انفصال، ما عدا إذا كان تناول التراث النحوي العربي من باب «مسـاهمة في تاريخ الفكر»فـلا ضيـر، أما تصور إمكانية وصـف ظواهر اللغة العربية الحالية بمفاهيم لسـانيات التراث،فذاكهوالوهـم بعينـه!لأن اللغـة تتطور باسـتمرار وتتفاعل مع أنسـاق لغوية أخرى، كتفاعلها مع المكان والزمان.

مجمل القول إن الدرس اللسـاني بهذه السـمات وجه آخر لطبيعة انخراط الباحث اللسـاني العربي الجديد في اللسـانيات الغربية،التي تشـكل حقلا جديدا على المثقف العربي مما كرس «التكـرار»في كثيـر من الدراسـات والبحوث العربيــة في المجال اللسـاني،أضف إلى ذلك قلة الدراسـات النقدية العربية للدراسـات اللسـانية، باستثناء مشـروع الباحث اللساني مصطفى غلفـان، والباحثين حافظ إسـماعيلي علوي، وامحمـد الملاخ.فقد قدمت كتابات هؤلاء فرشـا نظريا حاولوا فيه تحديد ماهية أبسـتمولوجيا اللسانيات، علاوة على تتبع الكتابات اللسانية العربية الحديثة في أسسها النظرية والمنهجية ومصادرها.

ويبقى مشـروع الفاسـي الفهري مهمّا في معالجته لقضايا وظواهر اللغة العربية، من خلال تتبـع النظرية اللسـانية التوليدية، وتطبيق مختلف نماذجها عـلى اللغة العربية،وقد اعتبر بعض الباحثين مشروعه اللساني التوليدي في الثقافة العربية من المحاولات الشموليةلتقعيد النظرية التوليدية وتطبيقها على قواعد اللغة العربية وذلك للأسباب التالية:

- أولا:طرح الفاسي الفهري قضايا تحديث الآلة الواصفة لمعطيات اللغة العربية،وذلك بالانخراط في مستجدات الأسئلة التي أفرزها الخطاب اللساني الغربي والتوليدي منه بشكل خاص.
- ثانيا:انطلق من وعي أبستمولوجي يحرك البحث ويدفعه إلى تقدم الدرس اللساني، عربيه وغربيــه، ويتمثل في ضـرورة الفصل بين صنفين من اللسـانيات: لسـانيات ظواهر تفرز خصائص أنحاء اللغات الطبيعية، ولسـانيات محاور تؤرخ لمنجزات الدرس النحوي القديم بتوظيف آليات نظرية تحليلية أبستمولوجيا.

- ثالثا:وضعه لبرنامج عمل في الخطاب اللساني العربي يتجاوز اللساني العربي ويتجاوز الكلام المكرور أو الأيديولوجي للتدقيق في قضايا تتوزع على قطاعات معرفية متبادلة (علم اللغة،علم الاجتماع اللغوي،اللسانيات التطبيقية، علم النفس اللغوي...الخ).

وهذا ما يجعلنا نقر بأن مشروع الفاسي الفهري التوليدي قدم مساهمات جليلة في معالجة كثير من قضايا اللغة العربية تركيبا وصرفا ومعجما... لا سيما ما يتعلق بحوسبة معجمها.

هذه بعض القضايا التي يدافع عنها المشروع اللساني التوليدي في الثقافة العربية الحديثة، والذي تمثله كتابات الفاسي الفهري بامتياز،والهدف منه هو الوقوف عند الجانب اللساني النقدي،أما التطبيقات العملية لمختلف نماذج النحو التوليدي، فللقارئ الرجوع إلى كتابات الباحث المشار إليها.

تدافع كتابات الفاسي الفهري عن اللغة العربية، وحقها في الوجود في ظل تعددات قاتلة، وسوق لغوية تفرض فيها العولمة المتوحشة لغة القطب الوحيد، وهذا ما نصادفه في كتاباته الأخيرة،ونعني «ذرات اللغة العربية»، و»أزمة اللغة العربية في المغرب»، و»السياسات اللغوية».

4.1 ورقة أحمد المتوكل:لسانيات التراث واللسانيات الحديثة؛ علاقة أصول وامتداد:

يعتبر مشروع أحمد المتوكل في اللسانيات الوظيفية،مشروعا مهما في معالجة كثير من قضايا اللغة العربية،التركيبية والمعجمية والصرفية والدلالية،من خلال تبني رؤية امتدادية أو استمرارية، بتعبير مصطفى غلفان، بين اللسانيات الحديثة ولسانيات التراث،مستثمرا اقتراحات الفكر اللغوي والبلاغي العربي في معالجة الكثير من الظواهر المتعلقة باللغة العربية، فصحى ودوارج، مما رسخ لديه قناعة مفادها أن الفكر اللغوي العربي وظيفي في عمقه،مما سيسهل إمكانية دمجه في نحو الخطاب الوظيفي (المتوكل، 2010). وبصدد إشكالية علاقة اللسانيات الحديثة بلسانيات التراث، فقد تبنى المتوكل (2006)أطروحة التطور والامتداد،أي أن اللسانيات الحديثة ماهي إلا امتداد وتطور عن لسانيات التراث.

جاء في كتاب أحمد المتوكل «المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي: الأصول والامتداد(2006) أن لسانيي هذا المنحى يسعون إلى»إنجاز مشروع ذي شقين:

- إضاءة نسق اللغة العربية صرفا وتركيبا واستعمالها فصحى ودوارج في مختلف القطاعات الاقتصادية –الاجتماعية؛
- مد الجسور لوصل البحث اللساني الوظيفي بالتنظير العربي التراثي للدلالة منظورا إليه في مجمله نحوا وبلاغة وفقه لغة وأصول فقه وتفسيرا «.

من خلال هذا الأهداف الكبرى التي تروم نظرية الوظيفية تحقيقها،يستفاد جليا أن المتوكل يؤمن بعلاقة الاتصال بين لسانيات التراث واللسانيات الحديثة ممثلة في اللسانيات الوظيفة،بل أكثر من هذا سيعتبر المتوكل «أن الفكر اللغوي التراثي في عمقه فكر وظيفي من حيث مفاهيمه ومنهجه وقضاياه».

وبهـذا المعنـى يكون المتوكل واضحا في تجسـيد الطـرح الاتصالي بين لسـانيات التراث واللسـانيات الحديثة،علـى اعتبار أن الفكـر اللغوي النحوي والبلاغي العربـي القديم ماهو إلا فكر وظيفي في عمقه.

وهو الموقف الذي عبر عنهأحمد المتوكل (2010) قائلا: «يكمن التباين بين الفكر اللغوي القديم (عربيا كان أو غير عربي)والدرس اللسـاني الحديث في اختلاف الظروف التاريخية التي تحيط بإنتاجهما حيث لا قطيعة معرفية بينهما خلافا لما يعتقد «.

يتبيّن أنَّ لسانيات التراث (عربية أو غير عربية) واللسانيات الحديثة تختلفان في الظروف التاريخيـة التـي ولدت كليهمـا، وتأتلفان في كونهمـا وظيفيتين في عمقهما لا سـيما حين يتعلق الأمر باللسانيات الوظيفية.

ومنذ بداية النحو الوظيفي المتوكلي، جسـدت مؤلفاته هذاالطرح الاتصالي بين لسـانيات التراث واللسـانيات الحديثة، من خلال البحث في التراث اللغوي العربي،للبرهنة على إمكانية استثماره.

وقـد أبرز أحمد المتوكل اسـتمرارية واتصاليـة العلاقة بين التراث اللغـوي العربي القديم واللسانيات الحديثة، في مداخلته بندوة التحليل السيميائي (1981)الموسومة بـــ»اقتراحات من الفكر القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي».ففي تحليله لهذه الظاهرة يلجأ المتوكل إلى مقاربـة النحو الوظيفيfunctional grammar، مسـتثمرا اقتراحات الفكر اللغوي العربي القديم ممثلة في اقتراحات السـكاكي. فالقراءة من هذا النوع هي قراءة تقويمية بالأسـاس، ولهـذا نجـد المتـوكل (1981) يدعـو إلى فحص اقتراحـات السـكاكي،والموازنة بيـن آرائه واقتراحات الفلاسـفة واللغويين المحدثين قصد تقويمها والوقوف على إمكانيات استثمارها. بهذا المعنى فالمتوكل (1981) يؤمن ضمنيا بإمكانية الاسـتفادة من اقتراحات الفكر اللغوي القديـم بغية إزالة شـوائبه لاسـتثماره من جديـد؛ إذن، فهو يؤمن ضمنيـا باتصالية علاقة النحـو باللسـانيات وأهميتها. وفي هـذه المداخلة يعرض المتوكل اقتراحـات كل من جرايس (P.Grice)،وجـورج ولاكـوف(G. Lakoff)، ثم يعرض اقتراحات السـكاكي التي يصفها بكونها تمتـاز بـــ»تجاوز الملاحظة الصرف وتحمل بـذور التحليل الملائم للظاهرة، أي التحليل الذي يضبط علاقة المعنى الصريح للمعنى المسـتلزم مقاميـا، ويصف آلية الانتقال من الأول إلى الثاني بوضع قواعد استلزامية واضحة «.

إن اقتراحات السـكاكي بهـذا المعنى تعادل اقتراحات اللسـانيات الوظيفيـة الحديثة مع جرايس وسـيرل وغيرهم لأنها تمتاز بحسـب المتـوكل(1981): أولا «بدقتهـا»، ثانيا بقدرتها «التنبئية».

ولا يكتفـي المتـوكل بوصف اقتراحات السـكاكي بالدقـة وقدرتها التنبئيـة، بل يفترض في هـذه المداخلـة إمكانية طرح هذه الاقتراحات»بديلا ممكنـا للتحليلات الحديثة المقترحة، شريطة أن يعمل على استيفائها الشروط المقتضاة».

والمقصود بالشـروط المقتضاةهو أن تخضع لدراسـة لسـانية عربية لغربلتهابطرق تحترم الأسس المنهجيةالتي تقتضيها الدراسة الأكاديمية.

بهذا المعنى، نعتقد من خلال المتوكل أن استثمار البحث اللغوي القديم ممكن إذا توافرت مجموعة من الشروط المنهجية والدقة والعلمية التي يتسم بها البحث اللساني الحديث؛ وفي هـذا الصدد يشـير (المتوكل 1985) إلى فكرة منهجية تشـير إلى أننـا (في المتوكل، 1981) وضعنـا لبنـة أولى لمنهجية تمكن من إعادة قراءة الفكر اللغـوي العربي القديم وإدماجه في الفكر اللسـاني الحديث واسـتثماره في وصـف اللغات الطبيعية بما فيهـا اللغة العربية وما يتفرع عنها.وهي التي قام بها حينما انطلق من فكرة «الاستلزام التخاطبي»،للسكاكي صاحب «المفتاح»،ليوازنها باقتراحات فلاسفة اللغة ورواد الدرس اللساني التوليدي،كجرايس،وسيرل. وهـي التي جعلته يتأكد بما لا يدع مجالا للشـك من قدرة لسـانيات التـراث على إغناء الدرس اللساني العربي الحديث.

إن قراءة الفكر اللغوي العربي القديم تمكن الأبحاث العربية اللسانية من استثمار المصطلح النحوي والبلاغي وإدماجه لتأسـيس لسـانيات عربية؛ مما سـيمكن من عقد حـوار بين الفكر اللغوي العربي القديم والنحو الوظيفي،وهذا الحوار ليس في صالح النحو العربي فقط، بل في صالح النحو الوظيفي أيضا، إذ سيحقق هدفين: (المتوكل، 1985):

أ.إغنـاء النحـو الوظيفي بتحليـلات ومفاهيم يسـتلزمها وصف الوظائـف الخمس في اللغة العربيـة خاصـة دون أن يمس اقتـراض هذه التحليـلات والمفاهيم بالمبـادئ المنهجية المعتمدة في النحو الوظيفي ولا ببنية النحو المقترح.

ب.تقويم مجموعة من الأوصاف المقترحة في النحو العربي أو البلاغة بالنسبة إلى وظيفة المبتدأ أو وظيفة البدل التابع بصفة أعم، وظواهر التخصيص والحصر والعناية والتوكيد وغيره.

إن اسـتمرار علاقـة النحو باللسـانيات تطوير للنحويْـن في آن واحد، النحـو العربي القديم والنحـو الوظيفي كذلك، ذلك أن هذه العلاقة سـتمكن الباحث اللسـاني العربي من اسـتثمار مـا يزخر به التـراث اللغوي العربـي من اقتراحات ومصطلحات لسـانية وإعـادة نمذجتها في إطار منهجي علمي حداثي مما سـيمكن اللسـانيات العربية من إحداث نقلة نوعية في البحث اللسـاني؛ وفي نفس الآن سـيتمكن النحو الوظيفي أيضا من الاستفادة من اقتراحات القدماء وجعلها في الحسـبان دون أن يكون ذلك إخلالا بالمبادئ المنهجية والمفاهيم الإجرائية للنحو الوظيفي، مما يجعل مشـروع أحمد المتوكل الوظيفي»مشـروعا معتدا به ليس بالنسـبة إلى اللسانيات الوظيفية العربية فقط بل إلى النظريات اللسانية الوظيفية بوجه عام «.

إن المتتبـع لكتابـات أحمـد المتوكل في اللسـانيات الوظيفيةيجدها مـا فتئت تؤكد هذا الطرح الاستمراري بين لسانيات التراث واللسانيات الحديثة، وكانت تروم تحقيق هدفين:

- أولا:معالجـة قضايـا وظواهـر اللغـة العربية تركيبـا وصرفا ومعجما ودلالـة من منظور اللسانيات الوظيفية؛
- ثانيا:قـراءة التـراث اللغـوي والنحـوي والبلاغي العربـي القديمقراءة منصفـة بعيدا عن المحاباة، وبعيدة عن الإجحاف.

مـن هذا المنظور يمكن اعتبار تناول أحمد المتـوكل لقضايا اللغة العربية،ولتوظيف التراث اللغـوي والبلاغي العربي بشـكل عام،تناولا واعيا بالأسـس الأبسـتمولوجية للسـانيات التراث، ممـا يجعلنا نعتبر قـراءة المتوكل للسـانيات التراث العربي قـراءة تروم «بناء لسـانيات عربية أصيلـة وحديثة،تسـتطيع أن تجـدد تصورها للتراث وتفتـح منافذ إدراجه في البحث اللسـاني العربي،لسانيات تعي بأن تأسـيس الإطار الأبستمولوجي لقراءة التراث النحوي،ووضوح التصور والمنهج يعتبر مقدمة لتجاوز الإشكالات المكرورة حول علاقة النحو العربي باللسانيات المعاصرة».

إن هذا النوع من القراءات المتسلحة بأسسها الأبستمولوجية،في الحقيقة، هي التي يحتاج إليهـا التـراث النحوي والبلاغـي واللغوي العربي القديـم، تميط عنه اللثـام، وتبرز إمكانية اسـتثمار الكثير من الظواهر والقضايـا اللغوية والبلاغية النحويـة العربية، لمعالجة قضايا اللغة العربية اليوم،كقضية الإعراب والبناء، ونظرية العامل، والاستدلال النحوي..الخ.

ويعتبر المتوكل(2006)خير مجسد لهذا الطرح من خلال البرهنة على أن علاقة الفكر اللغوي العربي القديم باللسانيات الحديثة هي علاقة أصول وامتداد وعلاقة تطور لا علاقة قطيعة.

يعتبـر المتـوكل أن هذا الطرح أكدته مجموعة من الدراسـات الأبسـتمولوجية اللسـانية، من بينها تشومسـكي (1966)،وكورودا(1972)وسـيميائية جريمـاس(1966)،إذ بينت هذه الدراسات أن اللسانيات الحديثةماهي إلا حقبة من حقب التطور الإنساني في دراسة اللغة.

يقول المتوكل (2006): «اللسـانيات الحديثة ليسـت إلا حقبة مـن حقب تطور فكر لغوي واحد حين بدأ الإنسان يفكر في اللغة وسيمتد امتداد التفكير في اللغة «.

بهـذا المعنى، يعتبر مشـروعُ المتـوكل الوظيفي الفكرَ اللسـاني الحديـث تطويراً لأدوات التفكير والاشـتغال على اللغة،بالتالي يكون الرأي القائل بأن لسـانيات دي سوسـير شـكلت قطيعة أبسـتمولوجية مع اللسـانيات التاريخية رأي فيه نظر! فدي سوسـير إنما طور وجدد آليات الاشتغال على اللغة،التي كانت اللسانيات التاريخية تشتغل عليها بأدوات أخرى.

وقـد أفضـى هذا الطـرح لدى أحمـد المتـوكل (2006) إلى تبني أطروحة التطـور، أي أن اللسانيات الحديثة هي بالأساس تطوير وتجديد في أدوت النظر في اللغة، ولا تمثل قطيعة كلية عن أدوات اشتغال لسانيات التراث على اللغة.

دفعَ تبنـّي هذا الرأي المتوكل (2006) إلى اقتراح أفكار لتطوير النظر في لسـانيات التراث العربية ومنها:

- أولا: استخلاص أهم مقومات التنظير العربي القديم من مختلف علوم اللغة العربية؛
- ثانيا:تحديــد معالم منهجيــة عامة لمقارنة النظرية الدلالية العربيــة القديمة بالنظريات اللسانية الحديثة،وخاصة منها النظريات الموجهة تداوليا؛
- ثالثــا: محاولــة استكشــاف إمــكان عقد حــوار معرفي بيــن النظريــات الدلاليــة العربية المستخلصة والنظريات التي قورنت بها.

إن تداول مشــروع أحمد المتوكل لمفاهيم من قبيل «عقد حوار معرفي»، و«اســتثمار المتاح للنتــاج اللغوي»، يــدل على وعي وإحاطة بلســانيات التراث، ويبرر إيمانه بــأن الفكر اللغوي العربي القديم وظيفي في عمقه،مما يتيح إمكانية اســتثماره من جديد لمعالجة قضايا اللغة العربيــة لا ســيما تلك التي أجــادت في وصفها كتــب النحاة والبلاغييــن واللغويين،كنظرية العامل،والاستلزام التخاطبي، والإحالة.

وقــد عززت هذه الرؤية لدى المتوكل قناعة بأهمية وغنى لســانيات التراث،بل إن «التراث ماض ممتد،من حيث إنه:

- أولا:يمكن أن يعد تاريخا للفكر اللساني الوظيفي؛
- ثانيا:يمكن أن يعتمد مرجعا حين البرهنة والحجاج؛
- ثالثا:يمكن أن يكون مصدرا يمتح منه كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

مجمل القولإن مشروع أحمد المتوكل الوظيفي يؤمن بأن اللسانيات الحديثة ماهي إلا حقبة مــن حقب تطــور النظر في اللغة بــأدوات جديدة،وبالتــالي فهي امتداد وتطور عن لســانيات التــراث؛ فهي ماض ممتد، وهذا الامتداد هوما يبــرر اعتباره «نظرية وظيفية في عمقها»فهي قائمة على المبدأ الوظيفي الأساس ومبدأ أسبقية الوظيفة على البنية وتبعية الثانية للأولى.

دافــع المتوكل (2010) عن الطرح التطوري نفســه في معالجتهلقضايا تطبيقية من خلال تخصيص فصلين (الثاني والثالث) لتحليل قضايا تناولتها لسانيات التراث والمنحى الوظيفي الجديد. فقد أشــاد في الفصل الثاني من الكتاب (بعنوان: «القوة الانجازية من الاســتلزام على التأصيل»)باقتراحات البلاغيين في هذا الباب، كالسكاكي مثلا في مفتاح العلوم.

وتنــاول في الفصــل الثالــث («الإحالــة الأنمــاط والمقــولات»)، طبيعــة الإحالة عنــد النحاة والأصولييــن،وفي نظريــة النحــو الوظيفي في النمــوذج المعيار(ديــك 1997)، وفي نموذج نحو الخطــاب الوظيفي(هنخفلــد ماكنزي 2008)، وتوصّل إلى خلاصــة مهمة بهذا الصدد وهي إمكان دمج اقترحــات الفكر اللغوي القديم بخصوص الإحالة،والاقتراحات اللســانية الحديثة في «منحى وظيفي موحد» ،وهو ما قام به فعلاإذ حاول دمج اقترحات لسانيات التراث بصدد مفهوم الإحالة،مع اقتراحــات هنجفلد(Hengveld)وماكنزي (2008)(Mackenzie)، مما أفضى بالمتوكل(2010) إلى الإقــرار بــأن «يتيح دمج تحليل النحــاة العرب القدامــى لظاهرة الإحالة في نمــوذج نحو الخطاب الوظيفي تدقيق تعريف مفهوم الإحالة وضبط الســمات الإحالية المتفرعة عنها والعلائق التي تقوم بين هذه الســمات، كما يتيح إعادة النظر في صرف وتركيب أقســام الخطاب».

إن الذي ميز أعمال الباحثين المغاربة في إطار نظرية النحو الوظيفي،أنها:

- أولا: اتخذت من أعمالها مشاريع مكملة لبعضها البعض،
- ثانيــا: تبنت مبدأ الحوار مع مختلف المقاربات اللســانية الحديثة والقديمة (النحو العربي القديم، مثلا)؛
- ثالثا:شــكلت أعمالها مادة خصبة للاشتغال من طرف الباحثين المغاربة وغيرهم في العالم العربي، كتونس والجزائر وموريتانيا وسوريا.

وخلاصــة القــول إن ما ميّــز الدرس اللســاني الوظيفي بالمغرب هو تبنّــي موقف توفيقي مع الدرس اللغوي العربي القديم،بل الإشــادة بإمكانية اســتثماره (المتوكل 2006)،مما جعل نظرية النحو الوظيفي تتميز في المغرب بمايلي:

- اجتهاد الباحثين الذين تبنوه،
- انتهاجه نهجا مغايرا في البحث عن المناهج والمقاربات اللسانية الأخرى(التوليدية العربية مثلا)،
- عدم إقصاء المقاربات الأخرى،بل استثمارها رؤى ونتائج كلما دعت الحاجة.

يستفاد من خلال كتابات المتوكل أن علاقة لسانيات التراث باللسانيات الوظيفية الحديثة هي علاقة تطور وامتداد لا علاقة انفصال وقطيعة،فكلتاهما وظيفية في عمقها،بل إن دمج اقتراحات لســانيات التراث في نحو الخطاب الوظيفي ســيمكن الدارسين من تدقيق تعاريف المفاهيم التي تناولها النحاة والبلاغيون العرب القدامى.

خلاصة:

لقد استطاع أحمد المتوكل من خلال مشروعه الوظيفي تجسيد الموقف التطوري الامتدادي بصدد علاقة الفكر اللغوي واللسانيات الوظيفية الحديثة بوجه عام. فقد استطاع قراءة الفكر اللغــوي العربي القديم بغية اســتثمار كنوزه ومــا يزخر به من أفكار تعيد للســانيات العربية قوتها ومناعتها الداخلية، نحو ما نجد في(المتوكل 1981)،وتســهم أيضا في تطوير النماذج الوظيفية الحديثة باقتراحاتها، مما ســيمكن، حســب المتوكل، من عقد حوار بيناللســانيات الحديثة ولســانيات التراث، حوار يكون من ورائه اســتثمار ما يزخر بــه التراث اللغوي العربي وتطويــره مــع الانفتاح أيضا على اقتراحات اللســانيات الوظيفية الحديثــة في إطار نوع من التلاقح، مما سيســهم في فهم أعمق لقواعد اللغة العربية،وهذا ما نلمســه من خلال مؤلفات المتــوكل (1981، 1985، 1986، 1993، 1995،2001، 2003،2006، 2008،2010، 2011، 2012، 2013)، ولقــد أدرجنــا موقفــه مــن الإشــكالية (علاقة لســانيات التراث باللســانيات الحديثة)التــي نحــن بصــدد معالجتها باعتبــاره موقفا تطوريــا امتداديا، إذ يجــزم أن علاقة لســانيات التــراث باللســانيات الحديثة هي علاقة امتــداد وتطور؛ ويؤمــن بأهمية اقتراحات الفكــر اللغوي القديــم ويعطيها قيمتها، نحو ما نجد في اقتراحات مــن الفكر اللغوي لوصف ظاهرة الاســتلزام التخاطبي ومن قضايا الرابط في اللغة العربية... كما أنه لا يقف عند حدود

اقتراحات القدماء،بل يسـاير اللسانيات الوظيفية الحديثة، نحو ما نجد في (المتوكل1985)، و(المتـوكل 1986)، و(المتـوكل 2006)، و(المتـوكل 2010)، و(المتوكل 2011)، مما يجعل كتابات هذا الباحث الوظيفية «تعكس روحا علمية تقوم على المناقشة والنقل البنّاء والأخذ بأورد الافتراضات والاقتراحات».

غنـي عن البيان أن سـر نجاح مشـروع أحمد المتوكل الوظيفي في الثقافـة العربيةأنه أخذ على عاتقه معالجة قضايا وظواهر اللغة العربية صرفا وتركيبا ودلالة ومعجما،فأسدى للدرس اللغـوي العربـي الحديث خدمات جليلة مكنت العديد من المدرسـين من اسـتثمار ذلك النتاج في «ديداكتيـك اللغـة العربية»، لا سـيما ما يتعلق بظواهر اللغة، ونحو القوالب والاسـتلزام التخاطبي،والعطف والاستفهام وغيرها.

١ـ 5 عبدالرحمان بودرع:لسانيات التراث واللسانيات الحديثة؛علاقة اتصال

يتأسس تصور الباحث عبدالرحمان بودرع من الإشكالية قيد الدرسبالنظر إلى أن بين الدرسين اللغوييـن القديـم والحديث،أو بين الخطابين اللسانيين،وشـائج قربى أملاها الاشـتغال على اللغة كحقل بشري لا يتغير بتغير الأحوال والظروف،علاوة على التسلح برؤية فكرية أصولية قائمـة عـلى الموضوعية الفكرية،والاعتـدال في التناول. فالباحث بـودرع (2007) يعتقد أن اللسـانيات بمناهجها يمكن أن تعين المتعامـل مع الخطاب القرآني على تقديم فهم متكامل المستويات، هذا الفهم يؤدي إلى «وضع النص القرآني في إطاره العام الذي نتج به أول مرة، كما يمكن أن تقدم اللسانيات في الفهم المتكامل هو المنهج السياقي في مستوياته اللغوية المتعددة النحوية والصرفية والمعجمية والبلاغية التي ترشد في فهم مراد المتكلم ومقاصده العليا بقرائن نصية لفظية ومعنوية «.

وإذا كانـت اللسـانيات تقـدم للباحـث منهجا متكاملا لفهـم كتاب الله، ممثـلا في المنهج السـياقي، وفي مسـتويات متعددة:نحوية ومعجمية وصرفية ودلاليـة وبلاغية، فإنها تقدم عُدة مفاهيمية لوصف اللغة الطبيعية والاشتغال عليها.

وبهـذا المعنـى يـزوّد المنهـج السـياقي اللسـانيالباحث بآليات الاشـتغال عـلى الخطاب القرآني،مـن خلال تسـييقcontextualisation كلماته أي وضعها في سـياقها اللغوي (داخل نص)وسـياقها المقامي (خارج نص)، أي المكان والزمـان والحضور والخلفيات،على اعتبار أنه حسـب الباحث بودرع»ليـس معنى الكلمة المعجمي هو المعنى الرئيـس كما درج على تقريره اللغويـون وعـلى تصوره علماء المعجم عندمـا بنوا معاجمهم على وحدة محـددة هي الكلمة، ولكن لكل كلمة معاني شـتى عالقة بها، والسـياق هو الذي يسـتدعي المعنى المناسـب بين تلك المعاني الكثيرة».

وعوداً على بدء الإشـكال قيد الدرس، فإن تصور الباحث قائم على نقد تصورات اللسـانيين القائلين بعدم قدرة النحو العربي القديم على وصف ظواهر اللغة العربية الحالية، وسنتوقف عند هذه النقطة لاحقا.

لقد كان رهان كتابات الباحث اللساني بودرع،إبراز أواصر المحبة ووشائج القربى بين الدرسين اللسانيين:الحديث واللغويات العربية القديمة،وهو ما نجده واضحا في كتابه(بودرع2005)،والذي كانت غايته هي»تلمس ما بين الأنظار اللغوية قديمها وحديثها من وشائج ونسب صهر أملاها الانتساب إلى الحقل اللغوي الذي هو حقل بشري لا يتغير بتغير الظروف والأحوال».

وقد قادت هذه الفكرة الباحث إلى استخلاص مفاده أن كثيرا من مظاهر النظر اللغوي الحديث ونظرات النحويين العرب القدماء تلتقي في نقاط كثيرة،مما يدل على العلاقة الاستمرارية بين الدرسين اللغويين،ومما يدل على وجود نقط ائتلاف النظر،مما «يبعث على الظن بإمكان وجود ثوابث عميقة تحكم الظواهر اللغوية أصواتها وتراكيبها ومعجمها وصرفها ودلالتها وقواعد لغوية تزيد الأجزاء والآحاد «.

تحيلنا هذه الفكرة إلى مفهوم «النحو الكلي « كما جاءت به اللسانيات التوليدية مع نعوم تشومسكي،هذا المفهوم الذي يحكم أنساق اللغات الطبيعية،ويضبط تحويلاتها ومبادئها الذهنية،وقواعدها الكلية التي يدركها متكلم لغة طبيعية،والذي قاد تشومسكي إلى تحديد موضوع النظرية التوليدية،وهو النحو،وليس اللغة.

وفي القسم الأول من مقاله(بودرع 2005)المعنون بـ:تعدد المعارف أساس مشترك»، دافع بودرعن فكرة تعدد المعارف كأساس مشترك بين الثقافات الإنسانية، والعلوم العربية نموذج لها، وهو وجه من وجوه الترادف بين العلوم واللغات قديمها وحديثها.يقول بودرع (2005) معبرا عن هذا الطرح- الحجة على استمرارية الخطابين اللسانيين القديم والحديث:فـ» تنوع المعارف واحتكاك بعضها ببعض امتحان يجلوها ويكشفها ويثبتها ويتبين أن اللغة ملتقى المعارف ومجمع الثقافات لأنها تحمل القيم «.

إن هذا الأساس المشترك بين الثقافة واللغة باعتبارها ملتقى المعارف يسوّغ وجود أساس مشترك بين الخطابين اللسانيين القديم والحديث.

دفـعَ وجودُ هذا الأساس المشترك بين اللغات والثقافات الباحثَ إلى تقديم نماذج من الموضوعات التي نتلمس فيها نوعا من الائتلاف في التناول والاشتغال بين الدرسين اللغويين القديم والحديث.ففي نقطة بعنوان:اللغة بين المعرفة الفطرية والمعرفة المكتسبة،خلص إلى أن تناول النحاة واللغويين والفلاسفة العربيلتقي في كثير من جوانب تناول الدرس اللساني؛فما أثاره تشومسكيمن أفكار من قبيل «مشكلة أورويل»و «مشكلة أفلاطون» برهان على وجودمؤتلفات بين لسانيات التراث واللسانيات الحديثة.

ويعتبـر بـودرع (2005) النحو كشـافا قويا للبنية،كشـافا ضعيفا للظواهر،وهو اسـتنتاج شـبيهبما توصلت إليه اللسـانيات التوليدية الحديثة، حين اعتبرت أن النحو يولد جمل اللغة توليـدا ضعيفا،ويولد إجـراءات وصفها توليدا قويا، مما يفرز فكـرة مفادها وجود ترادف في هذا الباب بين لسانيات التراث واللسانيات الحديثة؛ ويزكي هذا الطرحطرح نعوم تشومسكي في ذهابـه إلى وجـود «نحو كلي» يحكـم اللغات الطبيعية،مما يدل على العلاقة الاسـتمرارية الامتدادية بين الخطابين اللسـانيين سـالفي الذكر. ومن هنا، فلا مانع من الاستفادة والإفادة من الخطاب اللساني الحديث،بل إن ما يسوغ هذا هو البحث العلمي، فـ» الدافع العلمي الذي يفرض الإفادة من الدرس اللسـاني الحديث ينطلق من اعتبار النماذج اللسـانية والأنحاء كلها قديمها وحديثها،تشترك في وصف اللغات وتتفاوت في طرق وصفها وأهدافه».

ومـن هذا المنظور، ومادام أن هناك قاسـما «مشـتركا» بين الخطابين اللسـانيين القديم والحديث، وهو الاشـتغال على اللغة بطرق ومقاصد مختلفة، بغية ضبط أنسـاقها الذهنية، فإن هذا لا يغني عن الاستفادة من اللسانيات الحديثة.

إن هذه الإمكانية تبطل مزاعم القائلين بأن النحو العربي القديم قد استنفذ طاقته في وصف ظواهر اللغة العربية الحالية،وبالتالي لا بد من تجاوزه،على اعتبار أن لا مسـوغ منهجياً يقتضي ذلك، فالنحو العربي بحسب بودرع (2005) «ذو قدرة متطورة على وصف كفاية المتكلم العربي الفصيح،ولوصف الانحراف الذي أصاب الملكة فيكون النحو العربي مهياً لوصف النمطين من الإنجاز:الفصيح والمعاصر، وذلك برد الثاني إلى الأول وتفسير قضاياه وظواهره به».

إن البحـث في ثنايا أمهات الكتب النحويةيفضـي إلى خلاصة لا مراء من ورائها وهي قدرة النحو العربي على وصف ظواهر اللغة العربية القديمة والمعاصرة، من خلال نصوصه المتعددة والمتنوعة،وظواهره المفرقة في مؤلفات علوم أخرى كالبلاغة،والنحو واللغة والتفسير...؛مما يبطل الزعم القائل بعدم استيفاء قدرة النحو على وصف ظواهر اللغة العربية.

إن دراسـة بـودرع (2005)،جـاءت للرد على بعض الدراسـات اللسـانية العربيـة المعاصرة ومراجعتهـا،لا سـيما القائلة بعـدم قدرة النحو على وصـف ظواهر اللغة العربيـة «المعاصرة »،وزيف واصطناع بعض أمثلته وضعف بعض معطياته.

يدافع بودرع (2005) عن طرحه القائل بقدرة وكفاية النحو العربي على وصف ظواهر اللغة العربية،مبرهنـا على أن هذه الأخيرة ليسـت مسـتقلة عن النحو، كما زعمت بعض الدراسـات اللسانية العربية الحديثة (الفاسي الفهري 1985).

ومجمل القول بصدد تصور بودرع (2005)فإن الأمثلة التي وسـمت بالزيف لا تشـكل بؤرة النحـو العربي،بـل لا تعدو أن تكون مـن باب ما يصطلح عليه بـــ»باب المسـائل التعليمية «،كمـا يرفـض بودرع (2005) القول بنقص معطيات النحو القديم في معالجته بعض ظواهر العربية كالاستفهام والعطف..؛وفي هذا الصدد، يقول بودرع (2005): «يمكن الرجوع فيه إلى «علم المعاني»الذي يعد تكملة للنحو وصلة».

1.5.1 سؤال المعرفة العربية في تصور بودرع:

وقـف الباحث عبدالرحمـان بودرع عند سـؤال المعرفة والطرق الاسـتدلالية، ومنهج علماء العربيـة في ذلـك؛ وربما كان حريا بنا قبـل الدخول في صلب موضوع الدراسـة ومعرفة تصور الباحث بودرع لطبيعة العلاقة بين لسـانيات التراث واللسـانيات الحديثة،معرفة تصوره لـــ «سـؤالالمعرفة العربية»، فمن المعلوم-حسـب بـودرع (2006)- أن «النصـوص التي ينتجها العلمـاء تصدر عن ثقافة معينـة موجهة، تحدد معالم النتاج العلمي،وتكشـف عن خلفياته ومقاصده الفكرية، وتجيب عما ينطوي عليه من أسئلة وهموم كانت تشغل أذهان العلماء «.

ومعنـى هذا الكلام،أن إنتاج المعرفـة، كيفما كان حقلها ونسـقها المعرفي،محدد ومحاصر بأسـئلة معرفيـة تـروم الإجابـة عنها؛فالمعرفـة العربيـة محكومـة بقانون الأخـذ كضامن لسيرورتهاوانتقالها؛ فسيبويه أخذ المعرفة عن الخليل،والنحاة فيما بعد أخذوا عن سيبويه.... فالمعرفـة محكومـة بالأخذ والسـماع عن السلف،كاسـتدلال يحكم المعرفة،ولهـذا كان الأخذ والسـماع مرهونيْـن بالثقـة والدقة،في إطار التعـدد المعرفي لا التفرد؛»لقـد تلقى النحويون المعرفـة اللغوية بالسـماع عـن المتقدمين داخل نظـام معرفي عام،وكان العرف السـائد عن العلمهو تعدد الأخذ أو تعدد المأخوذ، وإنكار تفرده «.

ومن هذا المنظور، يمكن فهم الاسـتدلال عند سـيبويه،فهو متعدد المشـارب ضمانا للدقة والضبط، فهناك مشـرب القراءات القرآنية،ومشـرب الشعر، ومشـرب كلام الأعراب..»فالعلوم متعددة،والعالـم واحد،ويرجـع هذا العالم في فتواه،وشـرحه وتفسـيره،إلى أصـل واحد جامع يراعيه في عمله ونظره،وتنتظم بحسـبه العلـوم وتترتب،وذلك الأصل الواحد منطق تتصل بموجبه العلوم وتفترق،ومجمع لثوابت معرفية واعية «.

يتأسـس منهج المعرفة العربيةعلى قاعدة الأخذ والسماع من العلماء المشهود لهم بالدراية في المجال،عـلاوة على تعدد المعارف،مما جعلها معرفة قائمة على الاسـتدلال والدقة،»فكان نظر العارف لا يستقيم إلا بتعدد المعارف».

وحينمـا نتحـدث عـن المعرفـة العربية، نسـتدعي ثلاثـة عناصـر ضرورية وهي بحسـب بودرع(2006):

- أخذ العلم: إما بالمشافهة أو السماع من الأول لأنه يمثل أصل المعرفة وإمامها ومنبعها؛
- المعرفة: ويشترط أن تكون المعارف الملقّنة متعددة؛
- العارف: وهو المتخرج المجاز من قبل العلماء.

خلاصة:

لقـد تبدى لنا أن كتابات بودرع (2005،2006،2007) في تناولهاالإشـكال علاقة لسـانيات التراث واللسـانيات الحديثة تثبت وجود أساس معرفي بين «اللسانيتين»،أملاه الاشتغال على حقل اللغة كحقل بشري لا يتغير بتغير الظروف والأحوال.

وعـلى الرغم من اختلاف اللسـانيتين منهجـا ومقاصد في وصف اللغـات الطبيعية،إلا أن الدافع العلمي يقتضي الاستفادة من اللسانيات الحديثة.

إن منهج المعرفة العربية القائم على الاسـتدلال، وفلسفة الأخذ والسماع من العالم العارف المتعـدد المعارف، جعلت المعرفـة العربية النحوية ذات كفاية وقـدرة لوصف ظواهر اللغة العربية بنمطيها،الفصيح والمعاصر.

ا - 6 حافظ إسماعيلي علوي:من أجل أبستمولوجيا لسانية عربية

يندرج مشـروع الباحث حافظ إسـماعلي علوي،في اللسـانيات العربية، ضمن الكتابات التي تروم البحث في الممارسة النقدية الأبستمولوجيةلخطاب اللسانيات في الثقافة العربية،وهو مـا جسـدته كتاباتهمن خـلال البحث عـن الخلفيـات المعرفيـة للنظريات اللسـانية،ومدى ملاءمـة وانسـجام تطبيـق تلـك النظريـات لإطاراتهـا النظريـة،في معالجة قضايـا اللغة العربية،صوتا،وتركيبا، ومعجما،ودلالة.

كما تبحث كتابات الباحث فيإشكالات تلقي اللسانيات في الثقافة العربية،من طرف القارئ العربي،وقد أجمل مجموعة من العوامل التي تجعل هذا التلقي صعبا منها:

- أولا: اختـلاف الباحثيـن اللسـانيين حول تصورهم للبحث اللسـاني، وهـو اختلاف يتعدى حدود الاختلافات القائمة بين المدارس والتوجهات اللسانيةلأنه لو كان كذلك لكان اختلافا مشروعا في الأصول والمبادئ، وهنا مكن الإشكال؛
- ثانيا: تخلف اللسانيات في الثقافة العربية مقارنة مع مثيلاتها في الغرب؛
- ثالثا: غياب التنسيق بين الباحثين، ويظهر ذلك في غياب إجماع على ترجمة المصطلحات اللسانية (اللسانيات، الألسنية، اللسنيات، علم اللغة...)؛
- رابعا: عدم مراعاة القطائع في مجال اللسانيات التي خلخلت الكثير من معطيات علم اللغة التقليدي؛
- خامسـا: الخلل المنهجي في التحليل، وهذا ماجعل الكثير من الكتابات التي نسـبت نفسها إلى اللسانيات بعيدة كليا عن البحث اللساني بمعناه العلمي الدقيق.

تأسيسا على العامل الخامس،فإن من بين إشكالات الكتابة اللسانية في الثقافة العربيةهو ذلك الشـرخ المعرفي بين النظريات اللسـانية الغربية،وبين تطبيق نماذجها لمعالجة قضايا اللغـة العربية،فيكون التناول تجزيئيا سـطحيا،أو باعتماد نموذج لسـاني تم تجاوزه،بالتالي تجاوز إشكالاته.

أضف إلى ذلك مشـكلة المصطلح اللسـاني الذي اتسـمت ترجمته بالفوضـى، وقد اعتبره الباحث حافظ إسماعيلي علوي من أوكد العقبات في وجه الدرس اللساني العربي الحديث،التي تجعل المتلقي العربي معرضا عن اللسـانيات بشـكل عام لإحساسـه بفوضى المصطلح.وكأن حديث الباحث حافظ إسماعيلي علوييروم تشخيص عوائق الدرس اللساني العربي،التي يتداخل فيهـا الموضوعي بالذاتي،ليؤسـس لدرس لسـاني جديـد مبني على أسـس معرفية ومنهجية تحدد أصوله المعرفية، وتقنياته المنهجية والاسـتدلالية،بحيث يوجد ترابط بين المقدمات والنتائج،وهذه سمات الممارسة العلمية الأكاديمية؛يقول الباحث في هذا الصدد:

«غيـر خاف عـلى متتبع الممارسـة العلمية في الـدول المتقدمـة أن كل خطاب معرفي في قطاع من قطاعات المعرفة العلمية يستحضر كثيرا من التقنيات الاستدلالية والمفاهيم ذات الأصول المعرفية المتعددةوالمقدمات الفلسـفية والطرق الاستكشـافية،والتي لا يصرح بها لأنها جزء من تقليد علمي منغرس في آليات إنتاج المعرفة الاسـتدلالية؛بالتالي فهذه المعرفة ضمنيـة تتوارث بين الخطابـات، وتنتقل بين القطاعات المعرفية،غيـر أن المتتبع للكتابة اللسـانية العربيةيلاحـظ أن من بين مـا يجعل انخراطنا في إنتاج المعرفة اللسـانية انخراطا سـطحيا،كون السـياق الميتودلوجي والأبسـتمولوجي الذي يؤطر إنتاج الأفكاروتبليغها غير مؤسس في مؤسساتنا العلمية».

يستشـف من خـلال النصأن غياب الإطار الأبسـتمولوجي كمحدد وبان للمعرفة على أسـس استدلالية في الكتابة اللسانية العربية الحديثة، يعتبر عائقا كبيرا لا سيماحينما تعمد بعض الكتابات اللسانية العربية الحديثة إلى المقارنة بين مفاهيم النحو السيبويهي مثلا بمفاهيم اللسـانيات التوليدية عند نعوم تشومسـكي،مما ينتج عنه خليط معرفي مهجن، ويتجلى ذلك بوضوح إذا لم يحدد الباحث مسوغات منهجية مقنعة.

وتندرج كتابات الباحث حافظ إسـماعيلي علوي في إطار البحث عن أبستمولوجيا اللسانيات العربية الحديثة،كمقاربة تهتم بصورة المعرفة اللسـانية في ثقافتنا،بغية تقويمها من جهة أسسها ومبادئهاالمصرح بها والمسكوت عنها.

بهـذا المعنـى، تتميز المقاربة الأبسـتمولوجية في اللسـانيات العربيـة الحديثة بوظيفة تشريحية،تقويمية، بغاية تحديد الأسس والخلفيات المعرفية لخطاب اللسانيات في الثقافة العربيـة،أي البحـث في مدى انسـجام الباحث اللسـاني العربـي بين الإطار النظري اللسـاني الـذي يتبناه،وتطبيقاته في معالجة قضايا اللغـة العربية،صوتا وتركيباومعجماودلالة،على اعتبارأن غيابأو قلة الكتابات اللسانية العربية الواعية بالأسس النظرية والمنهجية للخطاب اللساني الحديث،كثيرا ما يسقط القراءة التي تدعي أنها لسانية بين هلالينفي مثالب لا تحمد عقباها،قد تصل حد التلاسـن والقدح بدلَ تقديم بحث لسـاني جادّ.لهـذا يقترح الباحث اعتماد «نظر يقوم على استثمار عُدة مفاهيمية تنتمي إلى أحياز القول الأبستمولوجي المعاصر،بحيث تكون القراءة واعية بحدودها وشـروط اشـتغالها،كما ترتبط بموضـوع له خصوصياته التي تقتضي التأمل في الجهاز الواصف،قبل الانتقال إلى تفكيك الممارسات الخطابية».

يتضـح من النص السـابق حاجـة خطابنا اللسـاني العربي إلى قراءةأبسـتمولوجية مؤطرة بجهازمفاهيمي، يستمد أدواته من استيعاب للتراث اللغوي، ومنفتح على اللسانيات الحديثة، مما يمكن الباحث اللسـاني الحديث من موضوعية نتائجه في تناول الخطاب اللسـاني قديما كان أم حديثا،بحيث يتمكن الباحث من الحركة في فضاء استدلاليواضح المنطلقات والنتائج.

خاتمـة:

لقد تبدى، من خلال تحليل هذه الأوراقالنقديةاللسانية المعاصرة،أنها متباينة في معالجتها لإحدى الإشـكاليات التي شغلت الفكر العربي المعاصر،وهي إشكالية التراث والحداثة،في حقل معرفي يراهن على دراسـة اللغة الطبيعية في ذاتها ولحد ذاتها، كما أقر بذلك رائد اللسـانيات الحديثـة فردينان دي سوسـير، ومادام أن المدارس اختلفت بعد دي سوسـير،فإن اللسـانيات العربية الحديثة اختلفت بدورها في معالجتها لظواهر اللغة العربية،تبعا لاختلاف مرجعياتها وإطاراتها الاستدلالية.

وقـد انعكس الفكر العربي المعاصربأسـئلته وإشـكالاتهعلى الخطاب اللسـاني المعاصر، لا سـيما في معالجته لطبيعة العلاقة بين اللسـانيات الحديثة واللغويات العربية القديمة، مما أفـرز خطابات لسـانية عربيـة مختلفة،تبعا لحـدة «الهيمنة»، بحسـب رأي مصطفى غلفان، هيمنة التراث اللغوي القديم من جهة،أوهيمنة الفكر الغربي من جهة أخرى.

إن الاشـتغال على اللغة العربية كان رهان اللسـانيات النهضويـة، منذ رفاعة الطهطاوي، باعتبارهـا مقوما من مقومات الحضارة العربية، الشـيء الذي أفرز هذا النوع من الإشـكاليات التي أشـرنا إليها،فهناك من يرى التقدم في الحداثة الغربية،وتداول اللغات الأجنبية؛وهناك بالمقابل من يرى في الرجوع إلى التراث القديم والاهتمام باللغة العربية سبيلا للتقدم الحقيقي؛ وثمة موقف ثالث وسـطييرى التقدم في الاستفادة من حداثة الغرب(اللسانيات)،مع استثمار مـا خلفتـه أعمال اللغويين والنحـاة والبلاغيين من نظريات مهمـة في معالجة ظواهر اللغة العربية.

والراجح أن الثقافة العربية الحديثة تحتاج إلى خطاب لسـاني يتجاوز كل هذه الإشـكالات العقيمـة، مـن قبيل الصراع بين لسـانيات التراث واللسـانيات الحديثة، ليسـهم في معالجة اللغـة العربية من منظور اللسـانيات وديدكتيكا اللغات، حتى تـؤدي وظيفتها المتمثلة في تطوير الإنسان وفكره، ولن يتأتى ذلكإلا بتوفر إطار نظري ومنهجي استدلالي يربط المقدمات بالنتائج، خطاب أبستمولوجييروم خدمة قضايا اللغة العربيةالتركيبيةوالمعجمية والصوتية والدلالية.

تلك هي سـمات اللسـانيات العربية التي ستؤسس لخطاب لساني عربي «يفسح المجال أولا للغة العربية الفصحى ودوارجها وللثقافة العربية لتتنفسـا ريح الحداثة والتجديد ولتعبرا عن المعاصرة والتقدم «.

صفوة القول إن هذه الأوراق النقدية اللسـانية عكسـت اختلاف اللسانيين المعاصرين في تصورهـم لعلاقة اللسـانيات الحديثة بالتراث اللغوي العربي، فـإن اختلفت في النتائج إلا أن المهم بالنسـبة إلينا هو حاجة التراث اللغوي والنحوي والبلاغي العربي لقراءة أبسـتمولوجية تسـتحضر محدداتـه المعرفية، ومجاله التداولي،وتحفظ نسـقيته، دون الوقوع في القراءات الإسقاطية التعسفية، مع الانفتاح على مستجدات الدرس اللساني الحديث.

المراجع:

- أيوب، عبدالرحمن: دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، 1957.
- بودرع، عبدالرحمان: من ظواهر الأشـباه والنظائر بين اللغويات العربية والدرس اللسـاني المعاصر، «الترادف»، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 25، الرسالة، 227، الكويت.
- بودرع، عبدالرحمان: منهج المعرفة عند علماء العربية، عالم الفكر، مجلد 34، عدد3، يناير مارس 2006.
- بودرع، عبدالرحمان: أثر السياق في فهم النص القرآني، مجلة الإحياء، العدد 25، يوليوز 2007.
- الراجحي، عبده: المدارس النحوية، دار النهضة للطبعة والنشر، 1980.
- الراجحي، عبده: النحو العربي واللسانيات المعاصرة، البحث اللساني والسيميائي، 1981، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.
- صديقي، عبدالوهاب: قضايا في اللسانيات والمعجم واللغة العربية عند الفاسي الفهري، أشغال الندوة الدولية التكريمية للأستاذ الفاسي الفهري، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، أكدال، أيام 26 و28 مارس 2013.
- صديقي، عبدالوهاب، 2011: اللسـانيات والبيداغوجيا: تدريس اللغة العربية من منظور لسـاني وظيفي تداولي، مجلة الدراسـات اللغوية والأدبية، (ماليزيا: منشورات قسم اللغة العربية، كلية معارف الوحي ماليزيا العدد الثاني، السنة الثانية).
- صديقي، عبدالوهاب: الحجاج اللغوي والتخاطب الإنسـاني، أشـغال الندوة الدولية حول لسـانيات النص وتحليل الخطاب، كلية الآداب والعلوم الإنسـانية، جامعة ابن زهر أكادير، أيام 19 - 24 مارس 2014.
- صديقي، عبدالوهاب:نحو الخطاب الوظيفي والمكون السياقي: نحو مكون سياقي مندمج، مقاربة أحمد المتوكل نموذجا، دراسة معدة للنشر.
- علوي، حافظ إسماعيلي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009.
- علوي، حافظ إسماعيلي: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، عالم الفكر، عدد، مجلد 33، ديسمبر- يناير 2004.
- علوي، حافظ إسماعيلي: قضايا اللسانيات التوليدية، عالم الفكر، عدد1، مجلد 37، يوليو، سبتمبر 2008.
- علوي، حافظ إسماعيلي، والملاخ، امحمد: قضايا أبستمولوجية في اللسانيات، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2009.
- علوي، حافظ إسماعيلي:تجليات تلقي اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، أطروحة لنيل الدكتوراه، إشراف مصطفى غلفان، الدار البيضاء.
- غلفان، مصطفى: اللسـانيات العربية الحديثة: دراسـة نقدية في المصادر والأسـس النظرية والمنهجية، منشـورات كلية الآداب والعلوم الإنسـانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4.
- الفاسي الفهري، عبدالقادر:لسانيات الظواهر وباب التعليق، البحث اللساني والسيميائي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1981.
- الفاسي الفهري، عبدالقادر: اللسانيات واللغة العربية، الجزء الأول، ط1، منشورات توبقال 1985.
- الفاسي الفهري، عبدالقادر:المعجم العربي، منشورات توبقال، 1986.
- الفاسي الفهري، عبدالقادر: البناء الموازي، منشورات توبقال،1990.
- المتوكل، أحمد: اقتراحات من الفكر القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي، البحث اللساني والسيميائي،، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط،1981.
- المتوكل، أحمد:الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى،1985.
- المتوكل، أحمد: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، 2006.
- المتوكل، أحمد: الخطاب وخصائص اللغة العربية، منشورات الاختلاف،2010.
- المتوكل، أحمد: «الخطاب الموسط، مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات»، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2011.
- المتوكل، أحمد: السياق موارده ومواده وأنماطه توطئة لمكون سياقي مندمج، التداوليات وتحليل الخطاب، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، ومنتصر أمين عبدالرحيم، الأردن: كنوز المعرفة للنشر والتوزيع،ط1، 2013.
- مرتجي، أنور: مناقشات، ضمن كتاب البحث اللساني والسيميائي، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، سلسلة ندوات، رقم 6، ماي 1981.
- المسدي، عبدالسلام: التفكير اللساني في الحضارة العربية، 1981.